

الدرس الأول: مدخل إلى علم الدلالة (1) (الاصطلاح والنشأة)

1/ اصطلاحاً:

قبل الحديث عن مفهوم علم الدلالة يجب الوقوف على مصطلح الدلالة أولاً، وذلك من حيث اللغة والاصطلاح.

أ/ الدلالة لغة:

ورد في المقاييس لابن فارس: الدال واللام أصلان صحيحان، أحدهما إبانة الشيء بأمانة، والآخر اضطراب في الشيء.

أما في أساس البلاغة للزمخشري فدله على الطريق، وهو دليل المفازة، وهم أدلأؤها، وأدلت الطريق: إهتديت إليه.

وفي لسان العرب لابن منظور: دله على الشيء يدلّه ذلاً ودلالة فاندلّ: سدده إليه، والدليل ما يُستدلّ به. والدليل: الدال. وقد دله على الطريق يدلّه دلالَةً ودِلالَةً ودُلولةً. والفتح أعلى؛ أي أفصح. ومثل ذلك ورد في مختار الصحاح للرازي.

أما في المعجم الوسيط فنجد: دله عليه وإليه دلالة: أرشده.

لقد ورد لفظ (دل) في القرآن الكريم في أكثر من موضع، وكانت كلها بالمعنى المعجمي؛ أي: الهداية والإرشاد. من ذلك قوله تعالى:

﴿ فَدَلَبْنَاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ الأعراف/22. وقوله:

﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾ القصص/12.

﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ الفرقان/45.

ب/ اصطلاحاً:

عرفها الراغب الأصبهاني بقوله: " الدلالة ما يُتوصّل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز " (المفردات في غريب القرآن) وعرفها الجرجاني(الشريف) بقوله: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر. والشيء الأول هو الدال. والثاني هو المدلول". وأضاف: " الدلالة اللفظية هي كون اللفظ متى أُطلق أو تُخَيَّل فهم منه معناه للعلم بوضعه" (التعريفات)

علم الدلالة: la sémantique هو العلم الذي يهتم بدراسة معاني الألفاظ دراسة وصفية موضوعية (ينظر: اللسانيات النشأة والتطور لأحمد مومن). أو بصيغة أخرى هو العلم الذي يهتم بدراسة المعنى.

2/ نشأة علم الدلالة: إن أول من استعمل مصطلح علم الدلالة هو اللغوي الفرنسي ميشال بريال سنة 1983. وهو صاحب أول دراسة علمية حديثة خاصة بالمعنى وذلك في مقال له بعنوان: محاولة في علم الدلالة *essai en sémantique* سنة 1897. وإن كان قد استعمل المصطلح أول مرة سنة 1883. قال بريال: " إن الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي دراسة حديثة للغاية بحيث لم تُسمَّ بعد. نعم لقد اهتمَّ معظم اللسانيين بشكل الكلمات. وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنظم تغير المعاني، وانتقاء العبارات الجديدة، والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها. وبما أن هذه الدراسة تستحق اسما خاصا بها فإننا نطلق عليها اسم علم الدلالة" (علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي لمنقور عبد الجليل).

إذن لقد كان علم الدلالة عند ميشال بريال العلم الذي يهتم بدراسة التغير الدلالي. لكنه ما لبث أن توسّع ليصير العلم الذي يدرس المعنى من جميع جوانبه، وصارت له نظرياته الخاصة. نلاحظ أن ظهور علم الدلالة كان متأخرا مقارنة بباقي العلوم اللغوية من علم أصوات، وصرف، وتركيب، بلاغة. هذا في أوروبا. أما في أمريكا فلم تلقى دراسة الدلالة الاهتمام إلا في النصف الثاني من القرن العشرين. وذلك لصعوبة دراستها. قال بلومفيلد (لغوي أمريكي): " إن المعنى أصعب نقطة في دراسة المعنى"

لقد أثار ميشال بريال قضية مهمة؛ هي الدراسة العلمية للمعنى، ففتح مجال البحث أمام غيره من اللغويين، وحتى غير اللغويين؛ إذ ساهم علماء مختلفو التوجهات المعرفية في إرساء صرح العلم. منهم علماء فيزياء، وعلماء رياضيات، وقانون... وما ذلك إلا دليل على أهمية المعنى، وعلى أنه ملتقى مختلف العلوم. ولم يبق الدرس الدلالي ملحقا بغيره من العلوم، بل صار علما قائما بذاته له أسسه، ونظرياته الخاصة.